

المحاضرة الثالثة

مراحل علم الكلام:

ومر علم الكلام بمراحل مختلفة يمكن ذكرها فيما يلي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة قدامى المتكلمين، كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وغيرهم.

وقد تميزت هذه المرحلة بالتأثر بالمصطلحات اليونانية، وخاصة عند المتأخرين منهم كالعلاف، حيث ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، وقد كانت المباحث الكلامية في هذه المرحلة متناثرة حسب موضوعاتها التي يتفق الكلام فيها دون وضع قواعد صريحة لهذا العلم، كما خلت هذه المرحلة من الاستعانة بعلم المنطق الأرسطي.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي دخل فيها الأشاعرة معترك الكلام في مقابل المعتزلة، وتعد هذه المرحلة أكثر تطوراً، نظراً لوضع قواعد علم الكلام ومقدماته التي يحتاج إليها الدارس مثل إثبات الجوهر - الفرد وغيره.

المرحلة الثالثة: حيث تتميز هذه المرحلة بمناقشة كلام الفلاسفة وإدخال ذلك في علم الكلام كما تتميز أيضاً باستعمال المنطق الأرسطي في مقدمات علم الكلام ودراسة أدلته وبراهينه. المرحلة الرابعة - تتميز بالخلط بين مذاهب الفلسفة والكلام واشتباها الأمر فيها على الكاتب والقارئ جميعاً. ثم التقليد المحض لتلك الآراء من غير نظر في أصولها. أسباب كامنة وراء تفش الظاهرة الكلامية منها

١. تسامح المسلمين: فلقد كانت شروط الفتح الإسلامي تسمح ببقاء بذور الحضارات من فلسفات وديانات راغبين أن يصلوا بين الإسلام وبين تلك الأديان والفلسفات، فثارت الشبهات بعد ما هبت على الناس أعاصير الفتن، ولاشك أن هذا التمازج والاختلاط والتوسع في الفتوحات مع السماح ببقاء بذور ورواسب الحضارات السابقة كان له الأثر في نشأة علم الكلام.

٢. حركة التعريب - الترجمة - لكتب الفلسفة والمنطق، وهي من أعظم أبواب الشر التي فتحت في زمن المأمون، فكثير تعريب كتب فلاسفة اليونان الأوائل مما كان له

أسوأ الأثر في تكدير صفو العقيدة، وبلبلة الناس وشغلهم بالمنطق الإغريقي عن الكتاب والسنة.

عوامل ظهور علم الكلام وبروزه:

أولاً - العوامل الداخلية:

أ. السياسة: أن مشكل الإمامة هو السبب وراء تفرق المسلمين قديماً، أن عصر النبوة والصحابة لم يشهد اختلافاً عقدياً البتة. وإنما بدأت المخاصمة بين الشيعة والخوارج بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فالشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده الخوارج هم متبعو علي رضي الله عنه وخرجوا من جماعته إذ وافق للتحكيم في معركة صفين وكان يعرف أنه خداع. ولا شك أن هذه كلها قضية سياسية ما لعب دوراً هاماً في ظهور هذين الفريقين العقديين.

ب. القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة: يعد هذان المصدران الشريفان من أهم أسباب ظهور علم الكلام؛ إذ إن المسلمين قد اهتموا بالكتاب والسنة وبكل حرف منهما فكانوا يسعون للقراءة والتدبر والعلم والعمل. والقرآن الكريم حافل بالحوار والتناظر مع الذين لا يؤمنون به. ومن جانب آخر آياته المتشابهات وكذا أحاديث رسول الله.

ج. الأمانة والتكليف: كان من الأسباب الداخلية لنشأة علم الكلام الأمانة والتكليف اللذان حملتهما هذه الأمة، فهي الأمة الوسط الخيرة الشاهدة على الناس المأمورة بدعوة العالمين لهذا الدين، ولذلك كان يجب عليها أن تجند طائفة من العلماء يمتلكون القدرة على الاستدلال على العقائد الإيمانية لتبليغ هذا الدين للأمم التي طغى عليها العقل والفلسفة، وليقفوا سداً منيعاً ضد دعوات وشبه الضالين المنكرين.

د. الاستقرار والتمكن: لقد أشار أحمد أمين في ضحاه إلى أن الاستقرار والتمكن الذي تحقق للمسلمين، جعلهم يتنفسون في الدين ويشيرون خلافاً دينية ويجتهدون في بحثها والتوفيق بين مظاهرها.

ثانياً: العوامل الخارجية:

أ. الغزو الثقافي أو الثورة الثقافية المضادة: فهذا عامل خارجي عرضي قوي كان من أسباب نشأة هذا العلم. فالمسلمون لما دخلوا البلاد والأقطار المفتوحة، احتاجوا للجدال مع المعاندين والمسترشدين من اليهود والنصارى والمجوس والبراهمة وغيرهم من الأمم، وكتب الأئمة على اختلاف مذاهبهم حافلة بذلك.

ب. الفلسفة اليونانية: لما دخلت الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني إلى العالم الإسلامي في عهد المأمون تصدى العلماء للفلاسفة وصارت المنازعات الطويلة مع الفلاسفة، وحدثت قفزات في علم الكلام بحيث أن الخلاف مع الدخيل الوافد قد احتل مساحة أوسع في الكتب الكلامية من الخلاف مع الأصيل الإسلامي.

كانت هذه إذن هي عوامل وظروف نشأة علم الكلام وبروزه كعلم مستقل بذاته.